150786 ـ هل يجوز استعمال قواعد من اختراعنا لضبط حفظ القرآن ؟

السؤال

معلمة القرآن تقرأ لنا الآيات ، ثم تفسر لنا الآيات تفسيراً صحيحاً ، ثم في حالة وجود صعوبة عندنا في استرسال الآيات تقول لنا المعلمة " علامة ذهنية " تيسر لنا الاسترسال في الآيات ، مثال ذلك في سورة الإسراء (وكان الإنسان عجولاً) بعدها (وجعلنا الليل والنهار) فتقول : إن الجيم فى (عجولاً) يمكن أن تذكرنا بالجيم في (وجعلنا) ، ومثال : تقول في سورة القصص (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بعدها (إن قارون) فتقول كلمة يفترون يمكن أن تذكرنا بقارون ، ونحن على علم أن هذا ليس له علاقة بالتفسير وإنما هو علامة للاسترسال فقط ، فهل هذا بدعة أو لا يجوز ؟ . أرجو الرد للأهمية .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نرى أن هذا الأمر وما يشبهه لا يدخل في البدعة ، بل هي قواعد يُبدِع فيها العلماء والحفَّاظ للوصول بالطلاب إلى الحفظ المتقن بأيسر طريق وأسهل سبيل .

ومن هذا الباب جاءت الوصية من الحفَّاظ المتقنين – من خلال التجربة – لطلابهم الالتزام برسم مصحف واحد لا يتغير ؛ حتى تنطبع الآيات في ذهن الحافظ ، فهذه علامة ذهنية لكنها كتابية لا سمعية .

قال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق – حفظه الله ـ :

القاعدة الخامسة : حافظ على رسم واحد لمصحف حفظك .

مما يعين تماماً على الحفظ : أن يجعل الحافظُ لنفسه مصحفاً خاصّاً لا يغيّره مطلقاً ، وذلك أن الإنسان يحفظ بالنظر كما يحفظ بالسمع ، وذلك أن صور الآيات ومواضعها في المصحف تنطبع في الذهن مع كثرة القراءة والنظر في المصحف ، فإذا غيَّر الحافظُ مصحفَه الذي يحفظ فيه أو حفظ من مصاحف شتى متغيرة مواضع الآيات : فإن حفظه يتشتت ، ويصعب عليه الحفظ جدّاً ، ولذلك : فالواجب أن يحافظ حافظ القرآن على رسم واحد للآيات لا يغيّره .

" القواعد الذهبية في حفظ القرآن " .

وعدا عن رسم الصحف في ذهن الحافظ فإن المصحف الواحد قد يكون سبيلاً له لضبط الآيات المتشابهات .

مثال :

تكرر في كتاب الله تعالى في عدة آيات كلمتي " النفع " و " الضر " ، فما السبيل لضبط تلك الآيات من خلال اعتماد مصحف واحد ؟ .

قال بعض الحفَّاظ : في طبعة " مجمع الملك فهد " تتقدم دائماً كلمة (نَفْعاً) على (ضرّاً) في الوجه الأيمن ، و (ضرّاً) على (

نَفْعاً) في الوجه الأيسر .

و " الوجه الأيمن " فيه حرف " النون " وهو كذلك في كلمة (نـفعاً) ، والوجه الأيسر فيه حرف " الراء " ، وهو كذلك في كلمة (ضرّاً) .

ولعل أجود مما ذكرته المدرِّسة الكريمة أن يتدرب الحافظ والمتعلم على ربط الآية بالتي قبلها والتي بعدها من خلال معاني الآيات ، وقد أُلِّفت في ذلك مؤلفات مستقلة ، وأشهرها : كتاب " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " ، لمؤلفه : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي .

مثال :

قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل/ 90 ، فهي على علاقة بالتي قبلها وهي قوله تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) النحل/ 89 ، فإنها تفصيل لما أُجمل في الآية التي جاءت قبلها.

وهذا فرع من علم يطلق عليه " علم المناسبات " .

قال السيوطي – رحمه الله ـ :

وقال ابن العربي في " سراج المريدين " : ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه " سورة البقرة " ، ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه إليه .

" الإتقان في علوم القرآن " (3 / 369) .

كما اعتنى العلماء والحفَّاظ بالآيات المتشابهات وذكروا قواعد لضبطها وحفظها ، ومن أعظم تلك القواعد ما يتعلق بمعاني الآيات .

مثال :

التفريق بين قوله تعالى (قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) آل عمران/ 40 ، وقوله (قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) آل عمران/ 47 ، فإذا عرف الحافظ أن الآية الأولى في سياق قصة زكريا وله زوجة ، فرَّق بينها وبين الآية الثانية وهي في مريم وليس لها زوج ، فكانت الآية الأولى فيها (يفعل) والثانية (يخلق) .

كما أوصى بعض العلماء والحفَّاظ بطريقة النحت لمعرفة خواتيم آيات متشابهة .

مثال :

جاء في سورة آل عمران قوله تعالى (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) آل عمران/ 176 ، ثم بعدها قوله تعالى (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) آل عمران/ 177 ، ثم بعدها قوله تعالى (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) آل عمران/ 178 ، وكلها آيات متتالية ، فكيف ضبط بعضهم قاعدة لحفظ تلك الخواتيم ؟ لقد استعمل طريقة " النحت " فأخذ الحرف الأول من (عظيم) والأول من (أليم) والأول من (مهين) فصار معه كلمة " عام " ، فإذا جاءت التسميع للآيات علم أن الآية الأولى تختم بكلمة (عظيم) والثانية بكلمة (أليم) والثالثة) بكلمة (مهين) .

ومنهم من ربط بين الآية واسم السورة لضبط المتشابهات .

مثال :

قال تعالى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) الإسراء/ 89 ، وقال تعالى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) الكهف/ 54 ، فكيف يمكن للحافظ أن يميّز بين الآيتين ؟ يمكن ذلك من خلال قاعدة الربط بين الآية واسم سورتها ، فالأولى في " الإسراء " وفيها حرف السين فيقدم كلمة " الناس" ، والثانية في " الكهف " وفيها حرف الفاء فيقدم (في هذا) .

والخلاصة : أننا لا نرى حرجاً في استعمال قواعد لضبط الحفظ من خلال الضوابط اللفظية ، وأما الربط من خلال تناسب المعاني ، فالواجب فيه عدم تعريض معنى الآيات للتحريف ، وعدم التكلف في التماس المناسبات بين الآيات أو السور .

قال السيوطي – رحمه الله ـ :

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : المناسبة علم حسَنٌ ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام : أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة : لم يقع فيه ارتباط ، ومن ربط ذلك : فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسَن الحديث فضلاً عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنَة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض .

" الإتقان في علوم القرآن " (3 / 370) .

والله أعلم